



حدود التداخل والاختلاف بين التداولية واللسانيات الاجتماعية
من خلال ظواهر لغوية مختارة

The Boundaries of Overlap and Divergence Between
Pragmatics and Sociolinguistics through the Analysis of
Selected Linguistic Phenomena

كميلة زعيم¹

¹ جامعة سطيف 2 (الجزائر)، k.zaiem@univ-setif2.dz

ملخص:

تعرض هذه الورقة حدود التداخل والاختلاف بين التداولية واللسانيات الاجتماعية بعدهما علمين تجاوزا الاهتمام باللغة في حدود التجريد والتنظير إلى رحابة التنوع والتعدد في الاستعمال والمجتمع، وتمثل له بعدة ظواهر لغوية قد تحمل أبعادا لغوية اجتماعية وبالمثل أبعادا تداولية، مثل التناوب اللغوي والسجل اللغوي والتهميز اللغوي، وندلل عليها بالأمثلة من الواقع اللغوي وبيان التحليل اللغوي الاجتماعي والتداولي كذلك، وتخلص الورقة إلى نقاط تقاطع والتقاء كثيرة هي بمثابة نهج تكاملي بين الرؤية التداولية واللسانية الاجتماعية في معالجة هذه الظواهر اللغوية. كلمات مفتاحية: اللسانيات الاجتماعية؛ التداولية؛ التداخل والاختلاف؛ السجل اللغوي؛ التهميز اللغوي؛ التناوب اللغوي.

Summary:

This paper presents the limits of overlap and divergence between pragmatics and sociolinguistics, considering them as two sciences that have transcended interest in language within the limits of abstraction and theory to the breadth of diversity and multiplicity in use and society. It represents several linguistic phenomena that may have sociolinguistic dimensions and also pragmatic dimensions, such as code switching, linguistic register, and difference. The paper concludes with many points of

intersection and convergence, which constitute an integrative approach between the pragmatic and sociolinguistic perspectives in dealing with these linguistic phenomena.

Keywords: Sociolinguistics; Pragmatics; Overlap and Divergence; Linguistic register; Diference; Code switching

1. مقدمة :

تعدّ كل من التداوليّة واللّسانيات الاجتماعية من العلوم التي انبرت لربط اللّغة البشريّة بسياق استعمالها في المجتمع وفي المواقف التواصلية بين مستعملي اللّغة، وما يجمع كليهما هو ما يُسمّى بالسياق بمفهومه الواسع، وسعي كلّ منهما إلى رصد اللّغة حين يستعملها أصحابها فعلا في المجتمع والتواصل، وهو ما يدفع للتساؤل عن الحدود الفاصلة بين هذين العلمين في حالة كانت موجودة وإن اختلفا نشأة وتطوّرا ومرجعية، تسعى هذه الورقة البحثيّة إلى البحث في مدى تداخل هذين العلمين والحدود الفاصلة بينهما في دراسة اللّغة والاهتمام بها، ويصوغ الإشكاليّة التالية:

ما هي مواطن التّداخل بين التداولية واللّسانيات الاجتماعية؟ وما هي الحدود الفاصلة بينهما؟ وما مدى الاختلاف في معالجة ظواهر اللّغة المتنوّعة؟

ننطلق في ذلك من وجهات نظر أهمّ أعلامها، ونُدلّل بعدها على ذلك من خلال تحليل لغويّ واجتماعي وتداولي لتفاعلات لغويّة مختلفة شفويّة أو مكتوبة.

يهدف البحث إلى محاولة فهم العلاقة بين هذه العلوم اللّغوية، والكشف عن تداخلاتها لفهم أوضح يمكن استثمار أدواتها ومجالات بحوثها في تطوير اللّغة العربيّة بما يوائمها منها في حقول التعليم والتربية بحصر جوانب الكفايات التواصلية والثقافيّة للّغة، أو تحليل الخطاب بأنواعه، وغيرها.

تعرض الورقة بداية أهمّ التعاريف لكلا العلمين، وحدود العلاقة بينهما، في جزء أوّل يعقبه تحليلات لمقاطع لغويّة شفويّة ومكتوبة توضّح هذه العلاقة.

2. رؤية مفاهيميّة:

2.1 تعريف التداولية:

يشيع في كتب التداولية تقديم تعريف يجعلها تهتمّ بـ"دراسة اللّغة في الاستعمال[in use]"¹، أو هي "علم جديد للتواصل يدرس الظّاهرة اللّغويّة في مجال الاستعمال"²، وهذا ضمن مسارها ضمن علم اللّغة وفلسفة اللّغة، الذي أسّس له

محدود التداخل والاختلاف بين التداولية واللسانية الاجتماعية من خلال ظواهر لغوية مختارة —

العدد الرابع عشر / العدد الرابع / ديسمبر 2025

بالخصوص أوستين Austin وسيرل Searl وغرايس Grice، وهناك من يوزعها على معسكرين أحدهما ذو اتجاه معرفي يُجمل تركيزه على تفسير القول Utterance interpretation، والآخر ذو اتجاه اجتماعي يركّز على المتحدث³ Speaker Meaning، وقد عرفت حديثاً تعدداً في تعريفاتها وتفرعاتها بتوسّع مجالاتها وتقاطعاتها مع المعرفة الاجتماعية والتكنولوجية ومجال التعلم والتعليم،... وتنوّع البحوث فيها، منها مثلاً ما يؤكّد على مفهوم التفاعل في تحديد المعنى (التداولية التفاعلية)، بدل الاستخدام أو التركيز عليها كفعل فقط، حيث المعنى "ليس شيئاً موجوداً في الكلمات وحدها، ولا هو منتج للمتحدث وحده، ولا للسامع وحده، بل أنّ إنتاج المعنى هو عملية حيوية تنطوي على تفاوض المعنى بين المتحدث والسامع وبين سياق العبارة (المادّي والاجتماعي واللغوي) والقدرة الدلالية للعبارة"⁴، وفي هذا التعريف يؤخذ بعين الاعتبار مساهمات كلّ من المتحدث والمستمع والعبارة وكذا السياق في عملية إنتاج المعنى.

كما يرتبط جزء كبير في الأبحاث المعاصرة للتداولية بدراسة الجوانب الاجتماعية والثقافية للغة تأثراً بأعمال غوفمان Goffman وهايمز Hymes، كما ألهمت أعمال روبين لاكوف Lakoff وليبيتش Leech وليفنسون Livenson وبراون Brown وجيني توماس Thomas التي أُجريت في أكثر المجالات خصوبة في الدرس التداولي اليوم وهو التأدّب Politeness، والأفعال المهدّدة للوجه FTA الدراسات الثقافية والتواصل بين وعبر الثقافات، واكتساب قواعد التأدّب عند الأطفال ومتعلّمي اللغات الثانية والأجنبية، وبالمثل نشوء تداولية اللغة الثانية⁵، فضلاً عن أفعال الكلام الموضوع المؤسّس والذي لا يزال يلقى اهتماماً متزايداً وقد بيّن الأستاذ مسعود صحراوي حضور هذا المفهوم في التراث العربي - وغيرها من الأبحاث التي اهتمّت بدمج التكنولوجيا في التواصل اليومي.

2.2 اللسانيات الاجتماعية:

التعريف الأكثر تداولاً وبساطة للسانيات الاجتماعية هو "دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع"⁶، ويعرّفها فيشمان بأنها "علم يبحث التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني استعمال اللغة، والتنظيم الاجتماعي للسلوك، وهي عند لويس جان كالفى فرع من فروع اللسانيات يهتمّ بالعلاقة بين اللغة والمجتمع، وبأسباب والظروف الاجتماعية التي تحيط

بالأسباب التي تحيط بالحدث اللغوي⁷، وقد نما واستقر في الستينيات من القرن العشرين، وتندرج كذلك ضمن فروع اللسانيات التطبيقية كونها تبحث "المشكلات اللهجية الجغرافية، والاجتماعية، وطرائق التأثير بين اللغة والمجتمع، وتتفحص الظواهر الناجمة عن الازدواج اللغوي وصولاً إلى الجوانب التطبيقية التي تسهم في حل تلك المشكلات اللغوية"⁸ من خلال التخطيط والسياسة اللغوية،... وغيرها، وتجدر الإشارة إلى توزع وتمايز نشأة هذا العلم بين المنشأ الأمريكي والأوروبي، والتنبيه إليه في جذور تعود إلى أبعد من تاريخ تحديد نشأتها منها في التراث العربي المتنوع والثري، كما أنه تداخل في تطوراته بشكل كبير مع علوم أخرى مثل الأنثروبولوجيا، وعلم النفس، واللسانيات الإثنوغرافية، وتفرع إلى مقاربتين Macro Sociolinguistic، و Micro Sociolinguistics، أو ما يقابل علم الاجتماع اللساني، واللسانيات الاجتماعية، حيث تنطلق الأولى من المجتمع إلى اللغة بخلاف الثانية.

2.3 حدود العلاقة بين العلمين:

يورد محمود أحمد نحلة عن فرشاورن Vershueren أن التداولية تتشارك مع اللسانيات الاجتماعية في "تبين أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث، والموضوع الذي يدور حوله الكلام، ومرتبة كل من المتكلم والسامع وجنسه، وأثر السياق غير اللغوي في اختيار السمات اللغوية وتنوعاتها"⁹، لكن هناك تجاذباً وعدم اتفاق بين بعض الباحثين حول مدى هذا التشارك والتقاطع.

تري جيني توماس J.Thomas بأن القول بتشارك اللسانيات الاجتماعية والتداولية بل ومطابقتها عند بعض الباحثين غير دقيق، فبينهما اختلاف في الأهداف ومجال التركيز وإن كان هناك تداخلاً واشتراكاً في المواضيع، وهو قول شبيه بتمائل الصوتيات مثلاً واللسانيات الاجتماعية، إذ يهتم كلاهما بوصف الأصوات ودراستها، لكن بأهداف مختلفة، وكذلك الاختلاف بين اللسانيات الاجتماعية والتداولية، إذ تقدم الأولى وصفاً للموارد المتاحة للفرد، وتهتم بالعلاقات بين المتغيرات الاجتماعية الثابتة نسبياً، مثل: العمر، الجنس، الوظيفة، المنطقة الجغرافية، الطبقة الاجتماعية،... وتأثيرها في أسلوب كلام الفرد¹⁰، وبذلك فهي تهتم بالوصف الكمي للعوامل الاجتماعية وتأثيرها في اللغة، بينما تركز التداولية على الكيفية التي يستخدم بها هذا الفرد هذه الموارد اللغوية لتحقيق أهداف وأغراض قد تكون آنية، مثل: الإقناع، التعبير عن المسافة الاجتماعية (القرب/التباعد)،

الفكاهة... وتمثل لذلك بتشبيه اللسانيات الاجتماعية بـ "الصورة الفوتوغرافية التي تقدّم لقطة للغة جماعة معيّنة في وقت محدّد مع تحليل كيفية تأثير العوامل الاجتماعية الثابتة: العمر، الجنس، ... في الكلام، ... [بينما تشبّه التداولية] بفيديو متحرّك يصف ما يفعله المتحدث بهذه الموارد اللغوية المتاحة لديه وكيف يستخدمها لإحداث تغيير للوضع القائم أو الحفاظ عليه كما هو"¹¹، وبالنسبة لها تُعدّ اللسانيات الاجتماعية نقطة انطلاق للتداولية، وكأنّ الأولى تكتفي بالوصف والثانية تعتمد على هذه التوصيفات السابقة.

وتبرز فيما يخصّ السياق الذي يشترك فيه كليهما، وهو الإطار الذي وضعه هايمز D.Hymes بأهمية اعتماده فعلا في التداولية، لكنّه ليس نهائيّ ولا كافٍ بالنسبة لها، "إذ لا يفسّر ولم يُصمّم لهذا الغرض سبب تصرّف شخصين بشكل مختلف تماما في الوضع اللغوي نفسه، ... وسبب تمكّن شخص من الاندماج لغويًا في مناسبة ما وفشل آخر ... لا يترك [هذا الإطار] مساحة لمساهمة الفرد، ولا يوضّح كيف يستغلّ متحدّث معيّن الموقف لتحقيق أهدافه ويفشل آخر"¹²، والفرق أنّ اللسانيات الاجتماعية "تُظهر كيف تقيّد مكونات السياق استخدام اللغة، بينما يسعى عالم التداولية إظهار كيف يستخدم المتحدثون اللغة لتغيير الوضع الذي يجدون أنفسهم في مواجهته"¹³، فالسياق ليس شيئا مُعطى، ويمكن للمشاركين تغييره وإعادة تشكيله.

هناك من يُخالفها في هذا الرأي، بالردّ بأنّ من مهامّ اللسانيات الاجتماعية التفسير أيضا إلى جانب رصد الواقع اللغوي، فاللسانيون الاجتماعيون يهتمّون كذلك حسب هولمز Holmes "بتفسير لماذا نتحدّث بشكلٍ مختلف في سياقات اجتماعية مختلفة، ويعتنون بتحديد الوظائف الاجتماعية للغة والطرق التي تُستخدم بها لنقل المعاني الاجتماعية"¹⁴، وهو ما سيتطلّب حسها النّظر في الجوانب التداولية كذلك، وفي العوامل التداولية بالإضافة إلى الاجتماعية، وهي ترى لذلك بأنّ " مجال التداولية التفاعلية ومنهجيتها المرتبطة بتحليل الخطاب، والذي كان رائدا فيها جون جامبرز J.Gumperz هو بالضبط نقطة تقاطع والتقاء التداولية مع اللسانيات الاجتماعية"¹⁵، وهو ما يُقيّد بشكل اصطلاحي دقيق بـ "التداولية الاجتماعية، وذلك بخلاف التوجّه التداولي المعرفي الذي أسّس له بول غرايس

Grice بدايةً، وتطوّر بعدها مع سيربر Sprber و ويلسون Wilson ، حيث التركيز أكثر على العمليات الاستدلالية مع اهتمام أقل بالسياق الاجتماعي.

فيما تطوّرت الأبحاث ذات التوجّه الاجتماعي انطلاقاً من مبدأ التعاون كذلك

لغريس Grice

مُمثلة في الأبحاث حول التأدّب Politeness مع براون Brown وليفنسون Livenson وليتش Leech كذلك، وأخيراً مع نظرية هوغ Haugh 2015 في مبدأ الإيحاء الاجتماعي والتأدّب وعدم التأدّب Impoliteness بعدها ممارسات اجتماعية¹⁶. وهو ما يوضّح كيف أنّ التداولية تندفع عميقاً داخل حقل اللسانيات الاجتماعية وتتداخل معها بوضوح. وهو تقاطع مهم، أين يبيّن التحليل التداولي الاجتماعي استعمال اللغة في ضوء التقاليد والقيم الاجتماعية والثقافية، ولا يكتفي بالنظر إليه بعده عمليات استدلالية أو معرفية.

ويمكن تحديد الاختلاف في سبب نشوء كلّ منهما باختصار شديد، حيث أنّه وارد في مضانّه من المصادر والمراجع المؤسّسة، فنوجز بأنّ اللسانيات الاجتماعية قد قامت خاصّة كردّ على اللسانيات الشكلية الصورية، لتهتمّ بالكلام وتنوعاته في المجتمع بتنوع أفرادهِ وتأثير المتغيّرات الاجتماعية في كلامهم، واعتمدت مرجعيّات مختلفة منها علم الاجتماع واللسانيات والأنثروبولوجيا، وقامت التداوليات في معتزك البحث عن المعنى وتحديدهِ، مُنبثقة من مرجعيّات منطقية فلسفية بالخصوص.

وقد يُعدّ مفيداً حصر المسائل التي قد تُعدّ من صميم كلّ علم، حيث تهتمّ التداولية ب"الإشارة والافتراض المُسبق والاستلزام الحواري والأفعال الكلامية"¹⁷، وتضيف توماس Thomas "تحديد المعنى في السياق، والقوّة التداولية وأفعال الكلام، التضمين والاستلزام الحواري، والتفاوض حول المعنى بين المتكلم والمستمع"¹⁸، وتهتمّ اللسانيات الاجتماعية بالتعدد اللغوي، والتخطيط اللغوي ودراسة التباين أو التنوع اللغوي، والتحوّل أو الانتقال الاجتماعي من طبقة لأخرى، وتحديد دلالات الكلمات في سياقها الاجتماعي، ومواقف قائليها ومكانتهم، ودراسة محظور الكلام، والتعبيرات الاصطلاحية والافتراض اللغوي، ودراسة العوامل الاجتماعية التي تحكم الاستعمالات اللغوية¹⁹

3. تحليل البعد اللغوي الاجتماعي والتحول نحو الوظيفة التداولية:

1.3 التحول اللغوي Code-switching:

التحول أو التناوب اللغوي هو تحول الأفراد في أثناء حديثهم من لغة إلى أخرى، ويدرج علي القاسمي تعريفا له بربطه بتحول ثنائي اللغة سواء أكانوا أفرادا أم جماعات بشرية من لغة إلى أخرى في أثناء الكلام "أو من اللغة الفصحى إلى اللغة العامية أو العكس"²⁰، وقد يحدث عفوا أو عمدا حسب غاياته المنشودة في التواصل، كما تتعدد أسبابه، وكان فينرايش Weinreich أول لساني غربي أشار إليه حديثا 1953 في كتابه "اللغات في تماس"²¹، يمكن أن يستعمل أحد الأفراد التحول اللغوي لتحمل بُعدا لسانيا اجتماعيا كالتعبير عن انتمائه لشريحة اجتماعية معينة أو تضامنه معها، في مثل إلقاء التحية:

✓ "ماتا لحوال"؟ لفرد ينتمي لبلاد الشاوية في الجزائر، أو: "أفشيخ خويا"
لمن هو من بلاد القبائل.

أو التحول اللغوي من اللهجة العامية إلى العربية الفصحى في موقف غير رسمي لإلقاء التحية على زميلة لنا اسمها "سعاد" تدرس النص الأدبي العربي القديم. بإلقاء الشعر للتعبير عن الانتماء للشريحة الاجتماعية/ الوظيفة ذاتها:

✓ "بانة سعاد فقلبي اليوم متبول، مرخبا، مرخبا".

وموقف مشابه حدث في ملتقى علمي خارج الجزائر، حيث التقى باحثان جزائريان، كان الأول قد ألقى ورقته البحثية باللغة الانجليزية، سألته الثاني باللغة الانجليزية، وأشار إلى أنه من الجزائر، فلم يتوان الآخر في التحول لغويا في أثناء إجابته من اللغة الانجليزية إلى الدارجة الجزائرية، فكانت نوعا من الألفة وتعزيز الانتماء والهوية، وفي استراحة القهوة أضاف القول مع التعبير المسكوك:

✓ "وشن حوال لبلاد، وان تو ثري فيفا لالجيري".

وقد يُستعمل هذا التحول اللغوي لغرض تداولي، وذلك قصد إيقاع التأثير في المخاطب بتحقيق مطلبه، وتعزيز القوة الإنجازية للفعل التوجيهي، في مثال واقعي حدث في

مستشفى، حيث طلب أحد الأفراد من طبيب كان يمرّ في رواق المصحّة بإخباره عن وضع المريض وكان السائل طبيبا، فتحوّل إلى اللغة الفرنسيّة ولفظ مصطلحات طبّية خاصّة تبين خلفيّته، لضمان استجابة الطبيب وإعطائه الجواب:

✓ السائل: "من فضلك الحكيم، وش راہ المريض؟"
الطبيب: لباس، لباس.

السائل: Est-ce qu'une mutation du gène KRAS a été recherché dans le cadre du bilan molucélaire de la tumeur?

فيقرّر الطبيب أن يناقش معه حال المريض المشكوك في خطورتها فعلا بعد أن بادره بسؤال قرابته مع المريض.

وهذا شائع بين أهل المهن والحرف، فبدل التصريح بالوظيفة يتمّ التحوّل اللغوي نحو السجلّ الذي تنماز به تقنيّا ومعرفيّا.

تركز الدراسة اللسانية الاجتماعية على كيفية تأثير عوامل مثل: البيئة، وطبيعة الحدث الكلامي الذي يشارك فيه المتحدثون، والعمر، أو الوضع الاجتماعي للمشاركين، على اختيار الشيفرة اللغوية، أمّا الدراسة التداولية، فتركز في المقام الأول على كيفية استخدام التحوّل اللغوي لتقليل أو زيادة المسافة الاجتماعية، أو لتعزيز القيم والمعايير المشتركة، ومثاله التحوّل اللغوي من العربيّة الفصيحة إلى اللهجة العاميّة في حديث أستاذ جامعي وأستاذ آخر زميل له كان في الأصل طالبا له:

✓ الزميل: كيف أحوالك أستاذي الفاضل؟ عساك بخير.
✓ الأستاذ: الحمد لله، "وش احوال الصحّة والعائلة أكّدي عليهم، وما تُخلّيش البحث يُنسيك فيهم". والغرض تداوليّا تقريب المسافة الاجتماعيّة وبناء جوّ من الأريحيّة في التّعامل.

2.3 التّهذيب اللّغوي/ الاحترام Diference:

أثناء التواصل في المجتمع سواء أكان رسميّاً أم لا، وشفهيّا أم مكتوباً نستخدم سلوكات لغويّة خاصّة، قد تفرضها مواقف معيّنة، منها صيغ التّهذيب، ويُشير التّهذيب Diference إلى "الاحترام الذي يُبديه اتّجاه الآخرين بحكم مكانتهم الاجتماعيّة العليا أو

محدود التداخل والاختلاف بين التداولية واللسانيات الاجتماعية من خلال ظواهر لغوية مختارة —

العدد الرابع عشر / العدد الرابع / ديسمبر 2025

تقدمهم في السن أو غير ذلك من معايير المكانة الاجتماعية²²، وهو بهذا نقيض للألفة Familiarity، وما يميزه عن التأدب Politeness، وهو قاعد تخاطبية تداولية بامتياز أن المتكلم لا يملك فيه الخيار في عدم اتباعه إلا في حالات خاصة ينوي فيها انتهاكه ويتحمل ما يترتب عن ذلك ويصبح هنا تداوليًا فهو يتبع فيه قاعدة لغوية اجتماعية قد ينتج عن مخالفتها عقوبات، كما لا يدل الالتزام به على احترام وتقدير حقيقي بالضرورة لمن نخاطبه بها²³، والتّهديب بهذا المفهوم ليس من اهتمامات التداولية بقدر ما يندرج ضمن اهتمامات اللسانيات الاجتماعية، ونُمثل له من واقع تفاعلاتنا اليومية:

- ✓ مخاطبة رئيس المحكمة بسيادة الرئيس، وليس باسمه ولقبه وإن كان معروفًا في المحكمة. فهذا إلزام ولا خيار فيه للمتحدث بأن يكون متأدبًا، وفي اللسانيات الاجتماعية هو اختيار تفرضه تراتبية المستوى والوظيفة.
- ✓ _ أو أن يجيب الموظف أو العامل مرؤوسه ب: حاضر/ نعم سيدي في حالة تكليفه بمهمة هي من مهامه الأساسية، ولا نتوقع أن يجيب: سأرى، أو: حسب ما توفّر لي من وقت، أو: سأسدي لك هذا المعروف، ...
- ✓ ويمكن أن نخاطب مازحين أحد الأصدقاء أو أحد المعارف أو الأهل بسيادة الرئيس، لكنّها في حالة رئيس المحكمة هي إلزامية وواجبة وليست اختيارًا، ولا دلالة تداولية لها بهذا، ويتّضح الفرق بينهما رغم علاقتهما كذلك في أنه يمكننا استخدام صيغ التّهديب ومع ذلك لا نكون أبداً متأدّبين مع الآخر، ومثاله:
- ✓ هل يمكن للسيد المحترم أن يتحف الحضور بأفكاره العبدية.

تتحول هذه الظاهرة اللغوية الاجتماعية إلى الوظيفة التداولية، في المثال التالي:

- ✓ هل تسمحين لي سيدي بالمرور من فضلك؟، هنا نية إنجاز فعل الطلب، وذلك باستخدام صيغة الاحترام بالمناداة بلفظ سيدي، ومن فضلك.

ومثلها رسائل إلكترونية تلقّيها _ من طلبة موجهة إلى الأستاذ بغرض إنجاز الفعل الكلامي التوجيهي الطلبي، تطلب الأولى وضع مورد دعم مُمثل في كتاب على منصة التعليم عن بُعد، والثانية مراعاة ظرفها الصحي في تقييم ورقة الامتحان:

✓ _ "السّلام عليكم أسّاذ(ت)ي الفاضل(ة)، متى يتمّ وضع المورد الدّاعم الذي ذُكر في المحاضرة السّابقة؟".

✓ _ "الأسّاذ(ة) الفاضل(ة)، طاب يومكم، أكتب إليكم بخصوص علامتي في مقياس....أودّ أن أشرح لكم الظروف التي أثّرت على أدائي في الفترة الماضية، إذ مررت بوعكة صحّيّة صعبة تطلّبت إجراء عمليّة جراحيّة على مستوى الرّكبة ممّا حرمني من الالتحاق بالدراسة مدّة طويلة، وأثّر بشكل كبير على قدراتي في التحضير والتركيز. أتفهّم وأعي تماما معايير التقييم، ولكنني أناشدكم وأمل أن تُعيدوا النّظر في معايير تقييمي آخذين بعين الاعتبار ظروفِي الصحيّة، ويُرجى منكم تكليفي بعمل إضافيّ لاحتسابه. وقد بذلت قصارى جهدي للتّعافي ومحاولة استدراك ما فاتني، ولكن لم أفلح، وما زاد إحباطي هو أنّ هذه آخر دفعة في تخصّصي، وسيتمّ إلغاؤها السّنة القادمة. أشكر تفهّمكم وتعاونكم".

أُتبع في هذه الرّسائل صيغ احترام تفرضها المسافة الاجتماعيّة والرّتبة كذلك، والعلاقة بين المتعلّم والمعلّم مُمثّلة في التّسمية (وهي هنا إلزاميّة ولا خيار فيها)، وباقي الصّيغ هي من اختيار الطّالب: الفاضل، المُخاطبة بصيغة الجمع، البناء للمجهول لتفادي الأمر المُباشر: "متى يتمّ وضع؟ بدل: متى تضع؟ أضافت الثانية تبريرات إضافيّة لضمان إيقاع العمل التّأثيري، مثل: أتفهّم،... أناشدكم، ... بذلتُ قصارى جهدي،... هذه آخر دفعة في هذا التخصّص... وهي هنا كانت لإتمام إنجاز فعل كلامي.

ولا يعني اتّباع صيغ الاحترام في فعل الطّلب واتّباع سلوك التّأدّب ضمان نجاحه بالضرّورة، فإذا كان الطّلب غير معقول، أو أنّ المطلوب في حدّ ذاته يحمل دلالة غير مُحبّبة، فلن ينفع التّأدّب في إنجاح التّواصل، وذلك مثل طلب السّكوت من شخص ما؛ لأنّك تحتاج التفكير أو الهدوء، لن تجعل منه صيغ الاحترام ناجحا أو مقبولا:

✓ هل يمكنني من فضلك أن أطلب إليك بأن تتكرّم بالصّمت للحظات. وربّما تخفّف صيغ الاحترام وقع الطّلب، وهذا يطرح نقاشا آخر حول مدى علاقة الملفوظات اللّغويّة بإدراك المُجاملة في السّياق، فرغم أنّ التّأدّب مُمارسة اجتماعيّة، لكنّها تتجسّد لغويّا كما قد تتجسّد في سلوكات، وهذا فرق آخر حسب توماس J.Thomas بين مجال التّداوليّة واللّسانيات الاجتماعيّة، إذ يتطلّب إدراك التّأدّب تداوليّا "دراسة كيف

محدود التداخل والاختلاف بين التداولية واللسانويات الاجتماعية من خلال ظواهر لغوية مختارة —

العدد الرابع عشر / العدد الرابع / ديسمبر 2025

تُستخدم الصيغ في سياق معين لتحديد هدف المُتحدّث²⁴، بينما يندرج تعدادُ الصيغ اللغوية أو الألفاظ التي تدلّ على "امرأة بالغة" في لغة ما مثلاً في مجال اللسانيات الاجتماعية²⁵. لذا لا يمكننا الحكم بشكل كافٍ على وجود مبدأ التأدّب إلا ضمن السياق، بالإضافة إلى الصيغ اللغوية، والعلاقة بين المُخاطب والمُخاطَب، ومثاله من هذا المقطع الحواري:

✓ "أُسمح لي يا سيادة المدير بأن أبسط القول بين يديك؟" والهدف هنا بالإضافة إلى الاحترام هو إنجاز فعل كلامي هو الطلّب مع ضمان تحقيق القبول ونجاح التّواصل.

ومثلها استعمال الفعل منفياً تجنّباً لذكر نقيضه وذلك تهديداً واحتراماً وكذلك لإنجاز فعل التأدّب، مثل القول:

✓ إنّها ليست صادقة، بدل القول: إنّها كاذبة. وكلاهما فعل إخباري.
✓ أو: "أنت لا تسمعي!" لشخص أكبر عمراً، بدل: "أنت أصم!" (مُراعاة المسافة الاجتماعية، السن، أو السّطة في حالة الوالدين، ...)، بينما قد تكون عادية مع قرب المسافة، أي صديق حميم.

ومن القرآن الكريم، قول الله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل 41]، وذلك في جملة المحاوراة التي كانت بين سليمان عليه السّلام وملئه كما أورد ذلك ابن عاشور، فالقول منسوب ومحكيّ على لسان النبيّ سليمان، وفسّر بأنه "أراد مفاجأتها واختبار مظنّتها والمأمور بالتّكثير أهل المقدرة على ذلك من ملئه و من الذين لا يهتدون أبلغ في انتفاء الاهتداء من: لا تهتدي"، فرأى أنّ القول أبلغ في نفي الاهتداء، وفسّر السّعدي والطّبري وابن كثير²⁶ وغيرهم المقصود بالاهتداء الفطنة والذكاء التي تليق بملكها، ولينظر إلى عقلها، وليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته.

وإذا صحّ النّظر إلّهما من هذه الزّاوية قد تكون صيغة تهذيب وتادّب من النبيّ سليمان عليه السّلام لإنجاز فعل الإخبار* لتتواءم مع أحد احتمالات تفسير الآية اللاحقة أوردته البغوي، وهو سابق علم سليمان بإسلامها ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ

هُوَ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿[النمل 42]، "معناه أوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائفة قبل مجيئها"²⁷، فقول وحاشا أن يُغَيَّرَ أو أن يكون تَحَوَّلَ: لا يهتدون بدل: ننظر أتهتدي أو تجهل (أو: تكون من الجاهلين)، أو تغفل (أو: تكون من الغافلين)، ... فيه فعل تأدب على لسان النبي سليمان عليه السلام، بينما أُسند إليها الكفر صراحة لما اقترن بزمَن الكينونة الماضي المنتهي ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (43).

وبذلك فالتهذيب أو الاحترام قد يكون إلزاميًا أو شكليًا، كما قد يُستخدم حتى في سياق الإهانة أو السخرية، بينما التأدب هي نية المتكلم في إظهار الاحترام والتقدير، وقد يتحقق أو يُغَيَّب حتى مع استخدام صيغ الاحترام²⁸، فهو استراتيجية لغوية مقصودة على وجه الاختيار لإنجاز وتحقيق أغراض معينة ولتحقيق التواصل بشكل ناجح وملائم اجتماعيًا، ومع ذلك فإنَّ مبدأ التأدب من أهم ما يقع بين مجالي التداولية واللسانيات الاجتماعية، حيث إنَّ أهمَّ ما يحدّد إنجاز التأدب تداوليًا هي عوامل اجتماعية مختلفة تتعلق بالمشاركين في التخاطب والتواصل: الفئة، الجنس، العمر، نوع العلاقة بين المتشاركين، المنطقة الجغرافية (أو البيئة) التي ينحدر منها كل منهم، ...

3.3 السجل اللغوي Register:

يشير مصطلح السجل اللغوي إلى "لغة المجموعات التي تربط بينها اهتمامات أو وظائف مشتركة، أو اللغة المستخدمة في مواقف ترتبط بتلك الجماعات"²⁹، مثل لغة المعلمين الرياضيين، أو الفلاحين، أو النساء، والمعلمين، أو القانونيين، والمسؤولين... وغيرهم، عبارة عن سجلات لغوية، مع ملاحظة أنَّ السجل اللغوي يتداخل مع التنوع اللغوي والأسلوب، واللغة الخاصة...ترادفا أو اختلافا، والذي يهمَّ هو أنَّ اختيار السجل لا علاقة له بالاستراتيجيات اللغوية أو التوظيف التداولي، فلن نكون أمام خيار اعتماد لغة رسمية في موقف رسمي، أو اللغة غير الرسمية في المواقف الحياتية اليومية، فهو توظيف يخضع لمتغيرات اجتماعية محضة، مثل السجل اللغوي الخاص بالصحافة في الخطاب الإعلامي (نوع الحوار التلفزيوني):

✓ "سيداتي، سادتي أهلا بكم، مشاهدينا الكرام في هذا الحصّة من برنامج "الواقع العربي" نسلط من خلالها الضوء على مدى قدرة المنظمات الحقوقية المحلية والدولية على الحد من انتهاكات حقوق الإنسان"، موضوع

محدود التداخل والاختلاف بين التداولية واللسانية الاجتماعية من خلال ظواهر لغوية مختارة —

المجلد الرابع عشر / العدد الرابع / ديسمبر 2025

حلقتنا الليلة نناقشه مع ضيوفنا من القاهرة عبر سكايب أسامة... المحامي في مركز القانون وحقوق الإنسان ، ومن نيويورك سارة المديرية التنفيذية لقسم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في Human Rights ، حيث يميل الخطاب إلى الحرص على الألقاب، وتحديد صفة الأشخاص: المحامي... المديرية التنفيذية، وكذلك ذكر كل ما يتعلق بالتسمية الرسمية، فلا يقول منظّمة فقط، بل يكرّر في كلّ مرة منظّمت حقوق الإنسان.

ومن بين ما يُرصد في السجل اللغوي سجل المعجم الخاصّ (الصّحفي): خبر عاجل، القيادي، تقارير، أنباء، البث المباشر، مُراسل، مؤتمر صحفي، نقل عنه، مصدر موثوق، تغطية، المتحدث باسم، آخر التطوّرات، تصريح، كبير المراسلين، الرقابة، وكالة الأخبار، أصدااء، شاشة، صحيفة، القناة، مذيع، برنامج، حصّة، حلقة، ترندينغ (trending)، استضافة، قراءة في المشهد، تداول مقاطع فيديو، ...

لكنّ قد يتحوّل انتهاك هذا السجلّ عمداً إلى موقف تداولي، حين نرغب مثلاً في تغيير الموقف أو تغيير نوع العلاقة الاجتماعية، أو إنجاز أيّ فعل لغويّ أو إتمامه. ونمثّل له من اللغة الخاصّة بالأساتذة في تغيير استخدام ألقاب من نحدّثهم لإنجاز فعل كلامي معيّن: فنغيّر مثلاً:

✓ أستاذ إلى: "سي فلان"، وهذا فيه دلالة تداولية تنم عن تغيير العلاقة بين الطرفين بحيث المسافة بينهما أصبحت أقرب أو بغرض التودّد الذي يعبر عن التزامات أخلاقية (بحيث يمكن أن يعرف كلّ منهما المزيد عن الآخر: الحالة العائلية، الصحّة، السؤال عن هذه الأمور، ...) ستكون بينهما، أو: "سيبويه" لأستاذ يتقن النّحو و متمكّن منه فيه فعل كلامي يحمل اعترافاً ضمناً بكفاءته، شيخنا، ... ✓ أو عندما يقترح أستاذ أن تُناديه باسمه بدل التكلفة بصفة أستاذ، للدلالة على تقريب المسافة كذلك.

بيّنت هذه الأمثلة المُقتضبة تداخل كلّ من التداولية واللسانية الاجتماعية وتقاطعهما خاصّة في التوجّه الذي غني أكثر بالجانب الاجتماعي، إذ تتزايد أهميّة العوامل الاجتماعية (والثقافية والنفسيّة كذلك) المختلفة التي تحفّ عملية التواصل في التأثير فيها،

وهو ما يظهر مثلاً في عدم كفاية المتغيرات الثلاثة في نظرية براون وليفنسون المُتَحَكِّمة في اختيار الأفعال الكلامية المُهَدَّدة للوجه: السُّلطة (القوة)، المسافة الاجتماعية، درجة إلزام الفعل، وذلك بأن أكد بعض الباحثين -فيما تمّ توجيهه من انتقادات- على أهمية عوامل أخرى تتحكم في هذا الاختيار، مثل: السنّ، الجنس، القيم الدينية، وحتى الإيماءات غير اللفظية... التي ترتبط بخصوصيات الثقافة بدورها.

4. خاتمة:

حاولت هذه الورقة البحثية المتواضعة بيان أوجه التداخل بين اللسانيات الاجتماعية والتداولية من وجهة نظر بعض الباحثين، وكذلك الحدود الفاصلة بينهما، وذلك بعرض أمثلة من التفاعلات الشفوية والمكتوبة في التواصل اليومي، ومثال من القرآن الكريم، حيث تحمل أبعاداً اجتماعية وأخرى تداولية، وربما عنيت البحوث الغربية بمعايير محدّدة تفرضها ثقافتهم ومجتمعاتهم، أهمّها القوة والسلطة، والهوية الجندرية، والقيم الغربية عموماً، وبالمثل تحتاج الدراسات والبحوث باللغة العربية إلى تحديد المعايير الثقافية والاجتماعية الخاصة بها، وكيفية تحقيق أغراض التواصل والمعنى انطلاقاً من خلفيتها ومعاييرها الثقافية الخاصة.

5. الإحالات والهوامش:

¹ _Stephen.C.Livenson, Pragmatics, Cambridge University Press, 1983, p5.

² _مسعود صحراوي، "التداولية عند العلماء العرب"، در الطليعة، بيروت، 2005، ص16.

³ _Jenny Thomas, Meaning in Interaction : An Introduction to Pragmatics, First published 1995, 2013 by Pearson Education Limited, Published 2014 by Routledge, Taylor and Francis, New York, p 5.

⁴ _Jenny Thomas, Meaning in Interaction : An Introduction to Pragmatics, p 23.

⁵ _Marta Gonzalez L-loret, 2012,Pragmatics overview In: Encyclopedia of Applied Linguistics, Editor : Carol Chapel, p 3-4 .

⁶ _محمد عفيف الدين دمياطي، "مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي"، مكتب لسان عربي للنشر والتوزيع،

2017، ط2، ص8.

⁷ _حسن كزار، "اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة التلقي والتمثيلات"، 2018، ط1، دار الرافدين، لبنان، ص 24.

حدود التداخل والاختلاف بين التداولية واللسانيات الاجتماعية من خلال ظواهر لغوية مختارة —
العدد الرابع عشر / العدد الرابع / ديسمبر 2025

⁸ _ المرجع نفسه، ص 26-27.

⁹ _ محمود أحمد نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص 10-11.

¹⁰ _ Jenny Thomas, Meaning in Interaction : An Introduction to Pragmatics, p 162 .

¹¹ _ Ibid, p 162.

¹² _ Ibid, p 162

¹³ _ Jenny Thomas, Meaning in Interaction : An Introduction to Pragmatics, p 23.

¹⁴ _ Janet Holmes, Sociolinguistics vs Pragmatics, In : Pragmatics and its Interfaces, Edited by : Cornelia Ilie /Neal R. Norrick, Jhon Benjamins Publishing Company, Philadelphia, 2018, p12.

¹⁵ _Ibid, p 13.

¹⁶ _ انظر تفصيلها في المرجع السابق من: ص 13-14

¹⁷ _ محمود أحمد نحلة، " آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، ص 15.

¹⁸ _ Jenny Thomas, Meaning in Interaction : An Introduction to Pragmatics, , p 165.

¹⁹ _ محمد عفيف الدّين دمياطي، "مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي"، ص 11.

²⁰ _ علي القاسمي، " التداخل اللغوي والتحول اللغوي"، الممارسات اللغوية، مجلد 1، ع 1، 2010، ص 84.

²¹ _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

²² _ Jenny Thomas, Meaning in Interaction : An Introduction to Pragmatics, p150.

²³ _Ibid, p 151.

²⁴ _Jenny Thomas, Meaning in Interaction : An Introduction to Pragmatics, p 130.

²⁵ _Ibidem.

²⁶ _ انظر: الموقع : <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura27-aya1>.

* _ رُغم أنّ هناك إشكالا هنا في اتجاه المطابقة كما يعرضه سيرل؛ لأنّ الفعل لم يقع بعد، ولكن ظروف القول التي تشمل القائل وهو سليمان عليه السلام الذي أوتي العلم والحكمة، كما أنّ صفة النبوة وإعلام الله له، تؤهّله للإخبار بما سيقع.

²⁷ _ البغوي، انظر الموقع: <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura27-aya1>

²⁸ _ Jenny Thomas, Meaning in Interaction : An Introduction to Pragmatics, p126.

²⁹ _Janet Holmes, An introduction to Sociolinguistics.,4 Edition, 2013, by Routeledg , p262.